

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام

(ح74) كتاب "الإسلام والحضارة الغربية" (ج1)

الحمدُ لله ذي الطَّوْلِ وَالْعَاقِبَةِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَالرُّحْنِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، خَاتَمِ الرُّسُلِ الْعِظَامِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ طَبَّقُوا نِظَامَ الْإِسْلَامِ، وَالتَّزَمُوا بِأَحْكَامِهِ أَيَّمَا التَّزَامِ، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَتَبِّتْنَا إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ يَوْمَ تَرُلُّ الْأَقْدَامُ يَوْمَ التَّرْحَامِ.

أيها المؤمنون:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعْدُ: نُنَابِغُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلَقَاتِ كِتَابِنَا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الْحَلْفَةِ الرَّابِعَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَعُنْوَانُهَا: "كِتَابُ: "الإسلام والحضارة الغربية". نَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفْحَتَيْنِ: الرَّابِعَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَالْحَامِسَةِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ كِتَابِ "نظام الإسلام" لِلْعَالِمِ وَالْمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَّا الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَإِنَّهَا تُقِيمُ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ التَّقْيِضُ مِنْ أَسَاسِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَصْوِيرُهَا لِلْحَيَاةِ غَيْرُ تَصْوِيرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَهَا، وَمَقْهُومُ السَّعَادَةِ فِيهَا يَخْتَلِفُ عَنِ مَقْهُومِهَا فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّ الْاِخْتِلَافِ".

وَنَقُولُ رَاجِينَ مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ: لَقَدْ تَأَثَّرَ عَدَدٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْمُفَكِّرِينَ وَأَسَاتِدَةِ الْجَامِعَاتِ بِفِكْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ فِيَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي بَحَثَهَا فِي كِتَابِهِ كِتَابُ: "نظام الإسلام" وَمِنْهَا مَوْضُوعُ "الحضارة والمدنيَّة"، وَمَوْضُوعُ "القومية والوطنية" نَذْكُرُ اثْنَيْنِ مِنْهُمُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرَ، وَهُمَا الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٌ، وَالدُّكْتُورُ عَبْدِ الْمَجِيدِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُحْتَسِبُ. أَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٌ، كَانَ أَسْتَاذًا فِي كَلِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَقَدْ كَتَبَ كِتَابَيْنِ قِيَمَتَيْنِ هُمَا خَيْرٌ مِمَّا كُتِبَ فِي هَذَا الْبَابِ وَيَسْتَحِقَّانِ الْقِرَاءَةَ فِعْلًا، وَمَنْ قَاتَهُ قِرَاءَتُهُمَا فَاتَهُ خَيْرٌ عَظِيمٌ: الْكِتَابُ الْأَوَّلُ: "الإسلام والحضارة الغربية" وَهُوَ كِتَابٌ مِنْ أَهَمِّ الْكُتُبِ، فَلَوْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ، وَلَمْ تَقْرَأْ فِي الْفِكْرِ أَوْ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ إِلَّا هَذَا الْكِتَابَ لَكَفَى. فَكِتَابُ: "الانجماهاط الوطنية في الأدب المعاصر" مِنْ قِيَامِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى، إِلَى قِيَامِ الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ، هُوَ مِنْ تَأْلِيفِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ مُحَمَّدٍ حُسَيْنٍ، عَلِمًا بِأَنَّ الْكُتُبَ الْفِكْرِيَّةَ فِيهَا عُنَاءٌ كَثِيرٌ، لَكِنْ هَذَا الْكِتَابُ مُمَيَّزٌ جَدًّا جَدًّا، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُدْرِكُونَ قِيَمَةَ هَذَا الْكِتَابِ، يُخَدَعُونَ بِعُنْوَانِهِ، يَطْنُونَهُ يَبْحَثُ فِي الْقَضَايَا الْوَطْنِيَّةِ فَقَطْ، مَعَ أَنَّهُ كِتَابٌ إِسْلَامِيٌّ خَالِصٌ أَلْفَهُ صَاحِبُهُ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ دَاخِلٌ فِي الْأَدَبِ النَّاصِرِيِّ، وَهُوَ مِنَ النَّمَازِجِ الْأَصُولِيَّةِ فِي التَّأْلِيفِ؛ لِأَنَّهُ أَلْفَهُ فِي عَهْدِ عَبْدِ النَّاصِرِ، وَفِيهِ نَوْعٌ

من التَّمويه في عنوان الكتاب؛ لئلا يأخذ صبغة إسلامية كي لا يحارب. وكان له دور عظيم جدًا، ولكن كيف يكون هذا الكتاب منحصرة دراسته بهذه الفترة الزمانية ثم نقول: إنه يمكن أن يكفي في التوعية بقضايا أساسية تهتم المسلمين في العصر الحاضر مع البعد الزمني؟ نقول: لأن التاريخ يعيد نفسه، فمن يراجع محتويات هذا الكتاب يتقن يدرك أن التاريخ يعيد نفسه فعلاً، فكل الأحداث تتكرر بصورة أو بأخرى. وأما الكتاب الثاني الذي ألفه الدكتور محمد محمد حسين فيما يخص موضوع الحضارة، فهو كتاب: "الإسلام والحضارة العربية".

وأما الدكتور عبد المجيد عبد السلام سالم المحتسب، حامل الدعوة من الرعييل الأول الذي قضى الشطر الأكبر من عمره في التثقيف من خلال عمله أستاذًا للدراسات القرآنية في الجامعة الأردنية، ومن خلال الكتب التي كان يصدرها ومنها: (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) و (طه حسين مفكرًا) و (منهج أبي حيان في تفسيره "البحر المحيط"). وقد كتب كتابه: "طه حسين مفكرًا" وكان هذا الكتاب رسالة أعدتها المؤلف لنيل شهادة الدكتوراة، ولما تبينت اللجنة المشرفة على مناقشة هذه الرسالة أن مؤلفها يطعن بمن يسمى "عميد الأدب العربي" زورًا وهتافًا رفضت منحه درجة الدكتوراة. وفي هذه الحلقة والحلقات التي تليها نعرض على أستماعكم ما يشجعكم على قراءة كتب هذين الأستاذين الفاضلين، عليهما رحمته الله تعالى، ونبدأ بما كتبه الدكتور محمد محمد حسين في كتابه "الإسلام والحضارة العربية": "في العالم الإسلامي المعاصر ألوان من الصراع تستحق الدراسة والتأمل، وإذا كان الصراع السياسي والاقتصادي هو أبرز ما يستلقت النظر في هذه الصراعات، وقد يبدو للنظرة المتعجلة أخطرًا، فهو عند التأمل المتعمق يبدو أقل خطرًا من الصراع الفكري والحضاري، ذلك لأن الظروف السياسية والاقتصادية كثيرة التقلب، سريعة التبدل، أما التعرُّ الفكري والحضاري، فهو بطيء في سيره، وفي تفاعله، ولكنه في الوقت نفسه طويل المدى في تأثيره. فالتعريف السياسي والاقتصادي قد يحدث فجأة بين عشية وضحاها بسبب انتصار حرب، أو بسبب تغير أشخاص ذوي فاعلية سياسية كبيرة أو ثقل دولي، أو بسبب ضغوط اقتصادية أو حربية أو نفسية لهذا أو ذاك من الأسباب، وفي هذه أو تلك من الصور والأساليب الظاهرة أو الخفية. وبمقدار ما هو سريع في التعرُّ والتقلب، فهو سريع أيضًا في زوال أثره، بحيث تتغير الأمور حين تزول أسباب التعرُّ السياسي والاقتصادي، وكأنه لم يكن. أما الصراع الفكري والحضاري، أو التفاعل الفكري والحضاري فهو لا يتم بهذه السرعة، ولا يكاد الذين يعيشونه ويعاصرونه يدركون أثره، فليس من السهل فصل الناس عما ألفوا من عادات وتقاليد، ولا ما توارثوا من عقائد، وما أكثر ما عانى دعاة الإصلاح من ذلك في شعوبهم، بل ما أكثر ما عانى منه الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. والقرآن الكريم يصور ذلك في مواضع متفرقة بين ما ساقه من قصص الأنبياء والمرسلين، في مثل قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ). (البقرة 170) وقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ). (إبراهيم 9، 10) وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ أَهْلِ جَهَنَّمَ: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ). (الصافات 68-70) وقوله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (23) قَالَ أَوْلُو جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (الزخرف 22-24) كُلُّ ذَلِكَ يُبَيِّنُ بوضوحٍ قُوَّةَ سُلْطَانِ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ عَلَى النَّاسِ، وَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلْفَتْ شَيْئًا لَمْ تَكُذِّبْ تَحْوُلٌ عَنْهُ إِلَّا فِي صُعُوبَةٍ بِالْعَةِ، وَبِطُءٍ شَدِيدٍ، فَإِذَا حَدَّثَ هَذَا التَّحْوُلُ بَعْدَ لَأْيٍ رَسَخَ الطَّارِئُ الْمُسْتَحْدَثُ فِي النَّفْسِ، وَازْدَادَتْ قُوَّةَ سُلْطَانِهِ عَلَى تِكْرَارِ الْمَجَارِسَةِ، وَمَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ وَتَعَاقُبِ الْأَجْيَالِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ التَّغْيِيرُ الْفِكْرِيُّ وَالْحَضَارِيُّ إِذَا تَمَّ عَمِيقَ الْجُدُورِ، صَعِبَ الْعِلَاجُ، بِقَدْرِ مَا هُوَ بَطِيءٌ التَّفَاعِيلِ وَالتَّحْوُلِ، لِأَنَّهُ لَا يَهْجُمُ عَلَى النَّفْسِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَكِنَّ النَّفْسَ تَتَشَبَّهُهُ أَنَا بَعْدَ آنٍ، وَيَسْرِي فِيهَا بِطِيءًا سَرِيانَ الْعِدَاءِ فِي الْأَبْدَانِ.

<p>والصراع الحضاري والفكري ظاهرة كونية تعمل على مرِّ الأزمان ، وتتلافى أجيالها ، ويحرض ما ينضج في قلب الله تبارك وتعالى فلولاً تلجُّ بقلوبهم يتخبرون بغير لسانهم الأرشدي (القرآن: ٢٥٨) وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتْفَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَمَعْلَمَاتِهِمْ فَهُنَّ مُبْعَدَاتُكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَبَدَاتُكُمْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَمَعْلَمَاتُكُمْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٣٠) ﴾</p> <p>من خلال هذه الشكوك الفكرية تتقدم البشرية ، فعمل بعضهم من غيرهم أحسن ما عندكم مما عندنا ، وتخلص من عنابر الضلالت وعقبات التشتت التي تنسحب إلى الكونيات غير الواضحة ، تتبدل في أجيالها ، تتصلب به الجذبات البشرية من التبدل والركوب الذي يحدسها الخوف . تتصلب هذه الظاهرة الفكرية وتلك الأفعال الرغوية التي لم تكتمل ، ورائحة بعضها ورائحة الأبراهيم في السلم من آثار الحضارات والديانات المنقرضة ، أو كثر من معطرين في أركان الحرب بآثار الفجر والآن سيحلتها وتبدل بقول الأيام بين الناس ، عند الأمم في فترة من فترات تاريخها مؤثرة في حال قوما ، بينما تبدو في فترة أخرى متأخرة في حال شعبها ، وإن كانت في حال قوما لا تعلق من الفكر ، وفي حال شعبها لا تعلق من الفكر ، ولكن الناس ليسوا في ذلك على سواء ، فالأمة القوية المتصانعة لا تأخذ في هذا الصراع إلا ما يكتسبها ، ويبرز خصائصها التي تتميز بها قوماً ، بينما تأخذ الأمم الضعيفة كل ما يفتق إليها مما يفسد وما يهلك ، وما يبرق مزاجها ويؤذي كيانها ، وما يخالف ذلك المزاج ويضيق ذلك الكيان ، ويتعشى بها الأمر إلى أن تنفد خصائصها التي بها أفراسها ، ثم تتساقط وتذوب ، أو تتصلب وتبقى . بل الغالب على الأمم الضعيفة أن يكون ثباتها في هذا الصراع إلى نال أسوأ ما عند غيرها من قوتها ، مما تدعو إليه الشهوات ، وما يفرى بالبراعة والاندفاع من كبران الخوف ، لأنها تتصلبها ، ولأما لا نجد في نفسها من الحق والبر ما تحتاجه عقول الأمم من التفتاح وجمال النفس وحلها على ما تتركه من الغلب والميل والقدرة . لذلك أفهد المسلمون من هذا الصراع حين كانوا أمة قوية فظفروا في صدر الإسلام ، بينما خسروا في الصراع المعاصر الذي تظفروا فيه ما تظفروا ولقدوا ما لقدوا من موقع ضعف يتورمون فيه أن كل ما عند غيرهم من القوة الأقوية خيرٌ مما عندكم .</p>		<p>في العالم الإسلامي المعاصر الوبان من الصراع تتسحق الدراسة والتأمل ، وإذا كان الصراع السياسي والاقتصادي هو أبرز ما يستفت النظر في هذه العراصات ، وقد يبدو للظفر المصجلة أظفراها ، فهو عند التأمل المأني المتمعن يبدو أقل خطراً من الصراع الفكري والحضاري . ذلك لأن الظروف السياسية والاقتصادية كثيرة التقلب ، سريعة التبدل ، أما الفكر الفكري والحضاري ، فهو بطيء في سيرته وفي تعامله ، ولكنه في الوقت نفسه طويل المدى في تأثيره . فالتغير السياسي والاقتصادي قد يحدث فجأة بين عشية وضحاها بسبب انحصار حربي ، أو بسبب تغير أشخاص ذوي طامعة سياسية كبيرة أو نقل حربي ، أو بسبب ضغوط اقتصادية أو حربية أو نفسية لهذا أو ذاك من الأسباب ، وفي هذه أو تلك من الصور والأساليب الظاهرة أو الخفية . وتقلد ما هو سريع في التغير والتقلب ، فهو سريع أيضاً في زوال آثاره ، بحيث تبدو الأمور حين تزول أسباب التغير السياسي والاقتصادي وكأنه لم يكن . أما الصراع الفكري والحضاري ، أو التفاعل الفكري والحضاري ، فهو لا يتم بهذه السرعة ، ولا يكاد الذين يعيشونه ويعاصرونه يتذكرون آثاره ، طيس من السهل فصل الناس عما ألفوا من عادات وتقاليد ، وما تزلزلوا من عقائد . وما أكثر ما هن دعاة الإصلاح من ذلك في شعوبهم . بل ما أكثر ما هن من الأبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والقرآن الكريم بصور ذلك في مواضع متفرقة بين ما سألته من قصص الأبياء والمرسلين ، في مثل قوله تعالى :</p>
--	--	--

الدكتور محمد محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية

أيها المؤمنون:

نكتفي بهذا القدر في هذه الحلقة، وللحديث بقية، موعداً معكم في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى، فإلى ذلك الحين وإلى أن نلتقاكم ودايمًا، نتذككم في عناية الله وحفظه وأمنه، سائلين المولى تبارك

وَتَعَالَى أَنْ يُعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ بِنَا، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِنَصْرِهِ، وَأَنْ يُقَرِّرَ أَعْيُنَنَا بِقِيَامِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ
الثَّانِيَةَ عَلَيَّ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ جُنُودِهَا وَشُهَدَائِهَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ
وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. نَشْكُرُكُمْ عَلَى حُسْنِ اسْتِمَاعِكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.